

سوسيولوجيا برنار لاهير

Sociology of Bernard Lahire

مريم شريط^{1*}، كتيبة بغامي²، خالد بن حنيش³

¹ جامعة الوادي (الجزائر)، nouris_2007@yahoo.fr

² جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر)، katibabegami@gmail.com

³ جامعة الوادي (الجزائر)، khaledahnich1981@gmail.com

تاريخ النشر: 2023-12-31

تاريخ القبول: 2023-12-27

تاريخ الاستلام: 2023-01-22

ملخص: يسعى هذا العمل إلى إبراز أهم المفاهيم والأفكار التي يعتمدها عالم الاجتماع الفرنسي برنار لاهير تلميذ بورديو في عمله الذي يطلق عليه الرجل الجمع أو المتعدد، والذي طرحه في مؤلفه الشهير عالم متعدد الأبعاد، والذي يعتبر أحد أنصار السوسيولوجيا النقدية الفرنسية، حيث يعد عمله امتدادا لما كتبه بيير بورديو حول نظرية الممارسة.

ولقد تبلور اشكال البحث في التساؤل: كيف نقد لاهير أستاذه بورديو؟ ثم ماذا يعني لاهير بالرجل الجمع؟

وأخيرا خلص البحث إلى أن لاهير كان يخالف بورديو في معالجته للفاعل الاجتماعي، حيث يراه بورديو ذا بعد واحد من حيث تجانس الاستعدادات التي تدفعه إلى إعادة إنتاج علاقات الهيمنة المشكلة للحقول الاجتماعية، فيما تتصف الذات بالتشردم والتعدد عند لاهير.

الكلمات المفتاحية: الهابيتوس؛ برنار لاهير؛ الفاعل الجمع؛ منطق الفاعلين؛ استعارة الطية.

Abstract: This work begins to highlight the most important concepts and ideas that depend on the French sociologist Bernard Lahire, a student who put forward in his work called the plural or multiple man, which is considered one of the supporters of French financial sociology, as it is an extension of what Pierre Bourdieu wrote about the theory.

The research forms crystallized in the question: How did Lahir criticize his teacher, Bourdieu? Then what does Lahir mean by the plural man?

Finally, the research concluded that Lahier was contradicting Bourdieu in his treatment of the social actor, as Bourdieu sees him as having one dimension in terms of the homogeneity of the preparations that drive him to reproduce the domination relations that form the social fields, while the self is characterized by fragmentation and multiplicity according to Lahier.

Keywords: habitus; Bernard Lahire; plural subject; the logic of the actors; fold metaphor.

*المؤلف المراسل.

1- مقدمة

تتميز السوسيولوجيا بتعدد الاتجاهات والتيارات، وكل اتجاه يقوم على براديغم ومقاربات نظرية معينة تهدف إلى فهم الظاهرة الاجتماعية وتفسير قوانينها. وتعتبر سوسيولوجيا بيير بورديو أحد أهم التيارات التي فرضت نفسها منذ أوائل الستينيات بفرنسا، بفضل العمل الذي أنجزه بورديو وفريقه في مركز السوسيولوجيا الأوروبية، بسبب مزجه لنقائيد فلسفية وسوسيولوجية متنوعة. فقد تميزت أعمال بورديو بأنها كانت ذات طابع نقدي بدرجة أولى، حيث عمل من خلال أعماله على تكيف الماركسية مع البنيوية في إطار ما يسمى بـ"البنيوية التكوينية" Structuralisme constructiviste كما كان لأعمال بورديو ونقاشاته تأثير كبير على زملائه وتلاميذه وأتباعه من اليساريين.

(الفصل، 1 مارس 2018) ويعتبر برنارد لاهير أحد تلاميذه المتأثرين بمنهج بورديو ذلك أن كل بحث علمي حسب ما يقول لاهير هو بالضرورة نقدي، ولا مناص من أن يتضافر العلم والنقد. وما يؤكد هذا هو أن أطروحات بورديو ومن تشبعوا بمنهج وطوره، لا تزال تحظى بالمصداقية اليوم أكثر من الأمس؛ فمثلاً، ربط التغيرات الاقتصادية والاجتماعية بالجانب الديني والثقافي عنصر أساس، ولا يمكن الفصل بين هذين المجالين، سواء في تشخيص الظاهرة أو معاينة «إعادة إنتاج» التفاوت والفروق الطبقة...

(فرح، 14 مايو 2018) إن سوسيولوجيا لاهير حول الإنسان الجامع أو المتعدد تدخل ضمن ما يسميه هو "السوسيولوجيا السيكلوجية Sociologie psychologique"، التي تهدف مع الحفاظ على طريقة اجتماعية سوسيولوجية إلى دراسة الواقع الاجتماعي في شكله الفردي والمدمج والمستقل. فالسوسيولوجيا على الصعيد الفردي أو النفسي حسب قول لاهير: «تتدرج في الموروث الضخم، الذي يهدف من إيميل دوركايم وحتى إلياس نوربيرت مروراً بموريس البواش، إلى الربط الدقيق بشكل متزايد بين الحالة النفسية وأطر الحياة الاجتماعية»، وهي تعتبر استجابة منطقية للمشاكل التي تثيرها نظرية تمايز الأفراد في العالم الاجتماعي. وبالتالي فإن «السوسيولوجيا السيكلوجية التي تسعى إلى فهم الفرد في مشاهد وسياقات مختلفة، تحكم قبضتها على مسألة الحقيقة الاجتماعية تحت شكلها الفردي والمستبطن».

مع الاستفادة من التخصصات الأخرى أي الفلسفة وعلم النفس، يعتبر عمله الذي قدمه في كتاب عالم متعدد الأبعاد هو فرصة لتطوير نظريات الفعل والفاعل، وفك سلسلة التوترات التفسيرية التي تتعارض حولها هذه الأخيرة: التوترات بين النظريات التي تصف لا حصر له تجزئة "أنا" وتلك التي تتصورها على أنها فريدة من نوعها، التوترات بين النظريات التي تمنح وزناً محدداً لماضي الفاعل وتلك التي تجعله كما لو أنه لا يوجد تقدم...

ونحاول في هذه الورقة البحثية التعريف بما كتبه الأستاذ لاهير حول الرجل المتعدد أو الرجل الجمع، من خلال إبراز المنطق الذي يعالج به بورديو أفعال أو ممارسات الأفراد، ثم التركيز على وجه المفارقة بينهما. ومن أجل هذا الهدف قمنا بطرح التساؤل:

- كيف عالج بورديو الممارسة لدى الفاعل؟
- هل يرى لاهير أن هناك تعددية أم تفرد الذات ؟
- ما هي الظروف الاجتماعية والتاريخية التي تجعل من الممكن إنتاج جهة فاعلة متعددة أو على العكس من ذلك، إنتاج فاعل يتسم بالتفرد العميق؟ أو بصيغة أخرى تحت أي ظروف تاريخية يمكن للفرد يمكن أن يصبح

صيغة الجمع وعلى أي مقياس من الملاحظة يجب على الباحث أن يضع نفسه لتسليط الضوء على هذه الظواهر؟

2- لاهير ناقدا لعمل بورديو حول الممارسة:

1.2- من هو برنار لاهير:

(www.ens-lyon.fr) برنارد لاهير هو عالم اجتماع وأستاذ علم الاجتماع في كلية المعلمين العليا في ليون منذ عام 2000 ومدير فريق التصرفات والسلطات والثقافات والتواصل الاجتماعي في مركز ماكس ويبر (CNRS) كان مديراً لمجموعة الأبحاث حول التنشئة الاجتماعية من عام 2003 إلى عام 2010، قبل أن يصبح نائب مدير مركز ماكس ويبر من عام 2011 إلى عام 2018.

ركز عمله تبعاً على إنتاج الفشل المدرسي في المدرسة الابتدائية، والأساليب الشعبية لتخصيص الكتابة، والنجاح الأكاديمي في بيئات الطبقة العاملة، والطرق المختلفة للدراسة في فضاء التعليم العالي، وتاريخ المشكلة الاجتماعية المسماة "الأمية"، الممارسات الثقافية للفرنسيين، الظروف المعيشية والإبداعية للكتاب، عمل فرانز كافكا، تاريخ العلاقة بين الفن والهيمنة في الغرب أو حتى في الأحلام.

في عام 1990 دافع عن أطروحته في علم الاجتماع عن الرسوب المدرسي في المدرسة الابتدائية. أطروحته بعنوان الأشكال الاجتماعية الكتابية والأشكال الاجتماعية الشفوية: تحليل اجتماعي للفشل المدرسي تمت كتابته تحت إشراف جاي فينسينت.

من عام 1992 إلى عام 1994 كان محاضراً في علم الاجتماع.

من 1994 إلى 2000 كان أستاذاً لعلم الاجتماع في جامعة Lumière Lyon 2 ومن 1995 إلى 2000، كان عضواً في المعهد الجامعي الفرنسي. أدار مجموعة "مخبر العلوم الاجتماعية" منذ عام 2002.

كان باحثاً زائراً (باحث مشارك) في جامعة كاليفورنيا في بيركلي (معهد دراسة التغيير الاجتماعي)، في فبراير - مارس 1997 ، أستاذ زائر في جامعة لوزان (سويسرا) ، في 1997-1998 ، أستاذ زائر في "كرسي Jacques-Leclercq" في الجامعة الكاثوليكية في لوفان (بلجيكا) في مارس 2000 ، أستاذ بجامعة جنيف (سويسرا) في 2002-2003 ، أستاذ زائر في جامعة لا بلاتا الوطنية في يونيو 2008 (الأرجنتين) ، أستاذ زائر في Instituto Universitário de Pesquisas do Rio de Janeiro (IUPERJ) وجامعة Juiz de Fora (البرازيل) في أغسطس - سبتمبر 2008 وأستاذ زائر في جامعة ريسيفي (البرازيل) في نوفمبر 2009.

حصل على كرسي كلود ليفي شتراوس لولاية ساو باولو ، في جامعة ساو باولو (USP) ، في تشرين الثاني (نوفمبر) - كانون الأول (ديسمبر) 2011 وفي أيلول (سبتمبر) - تشرين الثاني (نوفمبر) 2012 .

(235, 2007, COSTEY et PERDONCIN) كما أشرنا بدأ برنارد لاهير عمله البحثي في علم الاجتماع التربوي من خلال دراسة ممارسات القراءة والكتابة في الطبقات العاملة، والسياسات العامة لمكافحة

الأمية. كما كرس برنارد لاهير منذ عدة سنوات نفسه لتطوير علم اجتماع للثقافة قائم على مقترحات منهجية ونظرية صاغها في عمله المبكر. فهي تجمع بين الاهتمام بجعل الممارسات موضوعية وصياغة مقاييس تحليل مختلفة. تعاملت أعماله الأخيرة مع الاستهلاك والاستقبال (ثقافة الأفراد) بقدر ما تعاملت مع الإنتاج الثقافي.

وقد اقترح قراءة نقدية لعمل بورديو (العمل الاجتماعي لبيير بورديو) واستلهم منه لصياغة برنامج نزعي في علم الاجتماع (الرجل المتعدد).

2.2- نقد نظرية بيير بورديو:

(عبد الإله فرح، 6 أبريل 2021) يعد علم اجتماع النقدي عند بيير بورديو محاولة لفهم الممارسة ضمن قيود العالم الاجتماعي، من حيث أنه يسعى إلى ردم الفرق بين العوالم الاجتماعية الذاتية والموضوعية. ويتمثل ذلك في سعيه إلى تجاوز مجموعة من الانقسامات المترابطة: الجماعي والفردية، النسق والفعل، الكلي والجزئي.

(الإدريسي، 2019) وتقوم نظرية العالم الاجتماعي (المجتمع) لبورديو على الربط بين مكونات شبكة مفهومية خاصة (الحقل، المجال الاجتماعي، الانعكاسية، العف الرمزي، رأس المال، الهابيتوس...) تتكامل في إطار مقارنة نقدية تتجاوز التعارض بين الشرط الذاتي والمحدد الموضوعي للفعل الاجتماعي سعياً نحو رهان التأسيس لنظرية أو نموذج للممارسة" يوحد بين البنيوية والبنائية، في إطار التركيز على دور "الحس العملي" والاستراتيجيات الاجتماعية في تكوين براديجم ملائم للعلم الاجتماعي (السوسيولوجيا) يلعب "الهابيتوس" دور المرساة المعرفية لتشابك شروط إنتاجها؛ أي إن بورديو يستدمج تكوينه الفلسفي والأنثروبولوجي من أجل حل معضلة "الذاتي/الموضوعي" (وعوموم الأزواج الضدية في العلوم الاجتماعية) انطلاقاً من التوفيق بين البنيوي (الدوركهايمي أساساً) والرمزي (فيبر) والتأسيس لسوسيولوجيا قائمة على مبدأ الوجود المزدوج للعالم الاجتماعي، حيث تشكل الممارسة آلية أساسية لتحقيق رهان "موضوعية الذاتية" و"واقع التمثل".

(فرح، 14 مايو 2018) حيث يعد مفهوم "الهابيتوس" الخيط الناظم لنظرية الممارسة لدى بيير بورديو، انطلاقاً من كونه نظاماً من الاستعدادات المكتسبة التي تشتغل كنسق من الخططات المؤطرة استراتيجياً في سياق أساليب وخططات معرفية تنشأ من التطابق بين "توزيع الموارد المادية" و"الخططات الذهنية والرمزية" المكونة للمجال الاجتماعي. وبالتالي، تصبح "الهابيتوسات" استعدادات أو ترسيمات رمزية وذهنية تصهر الفردي في الاجتماعي وتربط الاجتماعي بالفردي.

لقد سعى لايير أثناء اشتغاله على سوسيولوجيا بورديو إلى تحديد أمرين مهمين ضمن أهدافه العلمية: «أولهما استيعاب درجة تجانس أو تنافر الاستعدادات التي يحملها الفاعلون الأفراد، في ارتباط مع مسارهم البيوغرافي وتجاربهم المدمجة اجتماعياً؛ وثانيهما، تحليل تمفصل الاستعدادات والسياقات التي تعمل فيها، أو بلغة أخرى فحص مسألة "الاستعدادات ضمن شروطها"....»، ذلك أن لاهير كان يخالف بورديو في نظريته للفاعل الاجتماعي، باعتباره ذا بعد واحد من حيث تجانس الاستعدادات التي تدفعه إلى إعادة إنتاج علاقات الهيمنة المشكلة للحقول الاجتماعية.

يهدف لاهير إلى بلورة فكرة جديدة عن وجود فاعلين غير متجانسين ومتناقضين، بسبب تعدد التجارب التي يحملونها معهم، فهو يرفض وحدة الذات لدى الفرد.

3 - الأفكار الأساسية في سوسيولوجيا لاهير:

3-1 مفهوم الرجل المتعدد:

(COSTEY et PERDONCIN, 2007, 248) في L'homme pluriel ينطلق برنارد لاهير لتحديد مفهوم بيبير بورديو عن الهابيتوس من خلال تحليل الفرد في الواقع، يشمل تعريف الهابيتوس فكرة نظام التصرفات التي يتم نقلها وتعميمها من مجال ممارسة إلى آخر، وتركز بشكل خاص على التماسك الفردي والجماعي. هذا التماسك إذا أمكن ملاحظته في مساحات اجتماعية معينة، لا يمكن افتراضه كقاعدة عامة لتنظيم العالم الاجتماعي، إنها إذن مسألة التشكيك في فكرة قابلية النقل والتفرد في تصرفات الفاعل، ليس من التأكيد على أن "الرجل هو الجمع" كما قد توحي قراءة ساذجة للعنوان، ولكن بالسؤال تحت أي ظروف تاريخية يمكن للفرد يمكن أن تصبح صيغة الجمع وعلى أي مقياس من الملاحظة يجب على الباحث أن يضع نفسه لتبسيط الضوء على هذه الظواهر؟

لطالما اعتبر علم الاجتماع أن بيئته الاجتماعية تتشكل بشكل موحد، ومع ذلك في مجتمعاتنا يتم دفع المزيد والمزيد من الأفراد إلى دمج طرق مختلفة في التفكير والتصرف: يمكن للمرء في نفس الوقت أن يكون عاملاً، يحب كرة القدم، ويقدر الموسيقى الكلاسيكية، ويكون عالم بيئة...

رغبة في شرح الممارسات والسلوكيات الجماعية، طور علماء الاجتماع رؤية متجانسة للإنسان: سيكون "كتلة"، تتشكل بواسطة مجموعة ثابتة من المبادئ (العادات، المخططات، المعايير، نمط الحياة...). يؤدي هذا الموقف إلى أوصاف مثل تلك الخاصة بصانع الخزانة هذا، الذي يتميز تماماً بأخلاقيات العمل الدقيقة التي لا تشوبها شائبة، والصلق، والإنهاء ... التصرف الذي نجده في كل سلوكه: طريقته في إدارة ميزانيته، ولغته، الملابس، مكانه، وإيماءاته ... هذا النوع من الأمثلة مفيد لتوضيح منطق اجتماعي، حيث تظهر الملاحظة أن الجهات الفاعلة تدمج نماذج عمل مختلفة ومتناقضة، يمكن أن يكون نفس الشخص بدوره خلال حياته، أو اعتماداً في نفس الوقت على السياق تلميذ المدرسة، الابن، الأب، الصديق، الحبيب، حارس المرمى، فتي المذبح، العميل، المدير، الناشط ... ما وراء لعبة الأدوار الاجتماعية البسيطة، يشير هذا التفاوت إلى مجموعة متنوعة من نماذج التنشئة الاجتماعية، لذلك يمكننا أن نفترض قيام كل فاعل بتضمين العديد من مخططات العمل أو العادات، يتم تنظيم مخزون النماذج هذا إلى حد ما اعتماداً على الشخص، في أدلة كالمخططات، والتي سينشطها الفرد وفقاً للموقف .

يقول لاهير هدفنا هنا ليس أن نحل نهائياً مشكلة تفرد أو تعددية الفاعل. إنها مسألة معالجة هذا السؤال على المستوى التاريخي. بعبارة أخرى: ما هي الظروف الاجتماعية والتاريخية التي تجعل من الممكن إنتاج جهة فاعلة متعددة أو على العكس من ذلك، إنتاج فاعل يتسم بالتفرد العميق؟

3-2 تأثير النطاق أو التأثير المجتمعي؟

(Mensuel, Février 1999) إذا ظهر لنا الإنسان اليوم بصيغة الجمع، فيمكن للمرء أن يتساءل عما إذا كان هذا التغيير في وجهة النظر ناتجاً عن أسباب تاريخية تتعلق بظروف التنشئة الاجتماعية، أو بالأحرى لأسباب علمية متصلة بآثار الملاحظة. الجواب نعم في كلتا الحالتين من ناحية أخرى فإن اهتمام الباحثين بالدستور الاجتماعي للفرد على نطاق الفرد، يجبرنا على رؤية عدم التجانس حيث حتى ذلك الحين، يمكننا افتراض التجانس مسبقاً. من ناحية أخرى يميل العالم الاجتماعي أكثر فأكثر إلى تبني هذا المظهر الجديد.

مسألة الحجم والنظرة العلمية (بالمقابل للأسباب التاريخية والملاحظة) في البداية كانت العلوم الاجتماعية مهمة أولاً بالمجموعات أو الهياكل الاجتماعية أو السياقات أو التفاعلات، ثم حدث تحول نحو دراسة الفاعلين الفرديين قمنا بتغيير التركيز تدريجياً من حالة "الحالة التوضيحية" لتوضيح تحليلات ثقافة عصر أو مجموعة أو فئة، انتقلنا إلى دراسة الحالة الفردية على هذا النحو في الواقع، في بداية القرن رسم علماء الاجتماع صوراً نموذجية للبرجوازية والفلاح والأجنبي والعامل، وبالتالي لا يمكن للحالة التوضيحية أن تظهر إلا بشكل كاريكاتوري في عيون أولئك الذين لم يعودوا يعتبرون الفرد مجرد ممثل لمجموعة، ولكن باعتباره نتاجاً معقداً وفريداً لتجارب اجتماعية متعددة، إن شخصية الفرد ومواقفه ناتجة عن ما تعلمه في المدرسة، وعائلته، ومهنته، وهواياته، وأسفاره، وحياته الجماعية والدينية والعاطفية ... التعددية: صيغة المفرد هي بالضرورة صيغة الجمع.

يرتبط تغيير المنظور في المقام الثاني بتطور العالم الاجتماع وذلك بالبحث عن ما هي الاختلافات في الواقع بين المجتمعات التقليدية ومجتمعاتنا المعاصرة في السابق (القبيلة أو القرية)، يمكن للجميع ممارسة السيطرة على الآخرين، إن تقسيم العمل والتمايز بين الوظائف الاجتماعية ومجالات النشاط ليسا متقدمين للغاية: مجالات النشاط الاقتصادي والسياسي والقانوني والديني والأخلاقي والمعرفي ... متشابكة، وطوال حياتهم يخضع الفاعلون لظروف مستقرة ليس لديهم خيار بين نماذج مختلفة، متنافسة، متناقضة للتنشئة الاجتماعية. في المجتمعات المعاصرة من ناحية أخرى فإن مجالات النشاط والمؤسسات والمنتجات الثقافية والنماذج الاجتماعية شديدة التباين، وتكون ظروف التنشئة الاجتماعية أقل استقراراً حتى أنه يحدث أن يتم إدخال الفرد في شبكات أو مؤسسات تنشر القيم والنماذج في معارضة جذرية لبعضها البعض بين الأسرة والمدرسة ومجموعات الأصدقاء والنوادي والجمعيات ووسائل الإعلام ... يواجه الأطفال بشكل متزايد مواقف متباينة ومنافسة.

وبالتالي فإن اتساق العادات أو خطط العمل يعتمد على اتساق مبادئ التنشئة الاجتماعية التي تعرض لها الفاعل، على سبيل المثال عندما تختار الأمهات عدم العمل من أجل تكريس أنفسهن لتعليم أطفالهن، أو عندما تضع الأسرة نظاماً كاملاً للمراقبة (التخلي عن التلفزيون، والرقابة الصارمة على المشاهدة والقراءة توجد هنا استراتيجية تهدف إلى ضمان تماسك نموذج التنشئة الاجتماعية، والذي يجده المرء على سبيل المثال مع هذه العائلات البرجوازية التقليدية، حيث لا تزال حياة الأطفال ومعارفهم منظمة بشكل صارم (المدرسة الخاصة، والكشافة، والقراءات، وأوقات الفراغ الخاضعة للرقابة، إلخ،

على العكس من ذلك، عندما يتم وضع أحد الفاعلين في مجموعة من السياقات الاجتماعية غير المتجانسة، فلن يتم توحيد مخزونه من التصرفات أو العادات أو القدرات. لذلك سيكون لها ممارسات غير متجانسة أو متناقضة، تختلف وفقاً للسياق الاجتماعي. هذا ما يلاحظ غالباً عند دخول الزوجين أو ظهور الطفل الأول. بعض

النساء اللواتي تبين أسلوب حياة المرأة "العصرية" و "المتحررة"، يجدن في هذه المناسبة هذا الدور التقليدي لربة المنزل التي استوعبت عاداتها دون أن تدرك ذلك دائماً. وهكذا يجد نفس الشخص نفسه حاملاً لنمطين على الأقل من الإجراءات المحلية اعتماداً على طريقة التفاعل التي تم تحديدها مع الزوج، يتم تنشيط أحد المخططين والآخر في وضع الاستعداد.

تعدد السياقات، تعددية العادات

بالطبع اللحظات في الحياة التي تتشكل فيها العادات المختلفة ليست كلها متكافئة، يميز المرء على وجه الخصوص فترة التنشئة الاجتماعية الأولية (الأسرة أساساً) عن كل تلك التي تليها والتي تسمى الثانوية (المدرسة، مجموعة الأقران، العمل، إلخ). هذا التمييز مهم بالتأكيد: فهو يذكرنا بأن الطفل يدمج سلسلة من التجارب الاجتماعية في أكبر اعتماد اجتماعي وعاطفي على البالغين، ومع ذلك فإنه غالباً ما يؤدي إلى تمثيل المسار الفردي باعتباره ممراً من المتجانسة (الأسرة) إلى غير المتجانسة (المدرسة، والعمل، وشبكات الأصدقاء). لكن الملاحظات التجريبية المختلفة تتعارض مع هذا النمط.

بادئ ذي بدء، فإن عدم التجانس موجود دائماً في قلب تكوين الأسرة، والذي لا يمثل أبداً مؤسسة كاملة تماماً، يمكن تحديد الاختلاف أو التناقض، حسب الحالة: بين "المرح" و "الجهد المدرسي"، بين حساسية كبيرة جداً لكل ما يتعلق بالمدرسة وأخرى أقل ارتباطاً بها، بين الرغبة في القراءة وغياب ممارسات وأذواق القراءة، بين المراقبة الأخلاقية الصارمة للأم وبين عدم التدخل للأب الذي يأتي ليتعارض مع جهود الأم، بين الأميين البالغين والأطفال قبل البلوغ، إلخ.

علاوة على ذلك، غالباً ما يتم إزعاج "تراكب" المؤسسات الابتدائية والثانوية بسبب النشاط الاجتماعي المبكر جداً لأكوان اجتماعية مختلفة: المربية (بضعة أيام أو بضعة أسابيع بعد الولادة)، الحضانة (بضعة أشهر فقط بعد الولادة من الطفل)، أو روضة الأطفال (من سن الثانية) ومع ذلك، فإن برامج التنشئة الاجتماعية لهذه الأكوان الاجتماعية المختلفة ليست بالضرورة منسجمة مع برامج الأسرة. كيف يمكننا ألا نرى أنه عندما يوضع في الحضانة في وقت مبكر جداً، يتعلم الطفل أن الشيء نفسه غير متوقع منه وأنه لا يُعامل بشكل متماثل "هنا وهناك"؟ لذلك فإن تجربة تعددية العوامل لها كل فرصة، في مجتمعاتنا شديدة التمايز، لتكون مبكرة النضج. أخيراً التنشئة الاجتماعية الثانوية قد تتم في ظروف اجتماعية عاطفية مختلفة.

(COSTEY et PERDONCIN, 2007, 248) يمكن أن تتنافس مع احتكار الأسرة. تعد حالات "خفض مرتبة من أعلى"، لأولئك الذين يطلق عليهم أحياناً "منشقون عن الفصل" (أطفال من الفئات المحرومة "يتدبرون" من الدراسة)، من أكثر الأمثلة الصارخة. نجح هؤلاء "المعجزون" في الخروج من حالتهم الاجتماعية الأصلية من خلال التعليم، وهذا يعني مصفوفة التنشئة الاجتماعية المتناقضة جذرياً مع تلك الخاصة بأسرهم .

(لايير، 2015، ص ص 19-24) ويجد لاهير في كتابه "عالم متعدد الأبعاد" أن كل باحث يجتهد للتوصل إلى نقطة توازن تفسيري بين دراسة خصائص الفاعلين الاجتماعية المختزنة من جهة ودراسة الخصائص الاجتماعية الموضوعية للبنىات من الجهة الأخرى إنما يجمع لا محالة بين استعداده وسياقية، حيث أن فهم

الممارسات أو أشكال السلوك (الإشارات، المواقف، الأقوال) عبر إعادة بناء لأنماط الاستعدادات الذهنية والسلوكية المختزنة التي يحملها الفاعلون (وهي نتاج لاستبطان خبرات اجتماعية ماضية) ولخصائص السياقات الخاصة (طبيعة الجماعة أو المؤسسة أو مجال النشاط، نمط التفاعل أو العلاقة) التي يتطورون ضمنها، هو الطريقة الأنسب من الناحية العلمية الذي يسع الباحثين استخدامه حسب رأيه.

ويمكن طرح الصيغة الموجزة للمقاربة العلمية في :

استعدادات+سياق= ممارسات

إن الممارسات المنظور فيها (كاختيار غذاء، لباس، رياضة..) لا تتضح إلا إذا درسنا من جهة القيود السياقية الضاغطة على الفعل (ما يتطلبه السياق أو ما ينتظره من الفاعلين)، ومن جهة أخرى الاستعدادات التي تتشكل من الناحية الاجتماعية والتي يدرك الفاعلون الموقف انطلاقاً منها، ويتمثلونه انطلاقاً منها أيضاً، والتي يتصرفون على أساسها في هذا الموقف، وضمن صيغة كهذه، ندرك أن الممارسات إن كانت قابلة للرصد والتسجيل من حيث كونها حقائق واقعية حاضرة، وأنه إن كانت قابلة للإظهار الموضوعي من جانب الباحث بالنظر في قواعد عملها، وخصائص عملها النوعية، وطبيعة العلاقات التي تتضح فيها (والتي تجعل السياق المدرسي مختلف عن السياق الديني) فإن الاستعدادات لا تتضح بالمقابل على نحو مباشر وتحيل إلى ماضي الفاعلين الذين ندرس حالاتهم. وهكذا يمكن طرح الصيغة نفسها بالشكل الآتي :

ماض مختزن + سياق حاضر = ممارسات قابلة للملاحظة.

-الصياغات الاجتماعية والمواضي المختزنة:

إن المقصود بالماضي المختزن هو كل ما يدخله الفاعل في مسرح الفعل، كل ما يدين به لمجمل التجارب التي عاشها والتي تبلورت فيه على شكل قدرات واستعدادات للفعل والشعور والاعتقاد والتفكير قوية ومستديمة إلى هذا الحد أو ذاك، ويصف الباحثون سيرورات تشكل الاستعدادات والكفاءات (القدرات) بأنها سيرورات صوغ اجتماعي، ويتحدثون عن خبرات صوغ اجتماعي عندما يريدون التشديد على ما تطبعه سياقات الفعل المعيشة التغير والتحول والتعديل على الفاعلين، ومن ثم فإن الماضي المختزن هو نتيجة لتواتر الماضي المبكر-المستديم، المنهجي إلى هذا الحد أو ذاك المترتبة على سياقات فعل مختلفة (أسرية، مدرسية، مهنية، دينية، سياسية، ثقافية، رياضية...إلخ).

وبعبارة أكثر تفصيلاً:

نتائج مستبطنة لتواتر الماضي لسياقات الفعل + سياق حاضر = ممارسات يمكن ملاحظتها.

وهذا يعني أن السياق الحاضر للفعل يمكن النظر إليه من وجهتي نظر مختلفتين: من حيث كونه الإطار الذي يطلق الاستعدادات المختزنة. أو أيضاً من حيث كونه الإطار الذي يحقق الصوغ الاجتماعي للفاعلين.

وحين يكون الفاعلون المعنيون أطفال، نرى على الفور بأي قدر تعد سياقات الفعل سياقات صوغ اجتماعي أيضا، ومن ثم أطرا تتشكل ضمنها كفاءات أو ميول أو عادات ذهنية وسلوكية.

ومع أن الباحثين الاجتماعيين نادرا ما يفكرون في الأطفال فإن التواتر المتكرر لبعض سياقات الفعل له أثر من حيث دوره في خلق الصوغ الاجتماعي (أي الاستعدادات).

وسواء تحدث الباحثون عن: استعدادات أو عادات أو ميول أو اتجاهات أو نزوعات أو قدرات أو كفاءات أو آثار من الذاكرة أو تصورات أو عرف أخلاقي أو تطبع، فإنهم يجتهدون في أن يأخذوا في حسابهم الحقيقة العلمية الجلية المتمثلة في اختزان الناس نتائج خبراتهم الاجتماعية.

إن الإنسان حيوان اجتماعي من حيث قدرته من الناحية البيولوجية - بما يتمتع به من دماغ وشبكة عصبية - على تذكر أو تخزين أو بلورة نتائج خبراته سواء كانت موجهة بشكل صريح أو غير سافر نحو تحصيل المعارف.

ولو كان الناس غير قادرين على الاختزان اللاوعي، بالمقابل التذكر عبر مجهود يبذل عن وعي، فربما لم تكن العلوم الاجتماعية لتكون بحاجة إلى برنامج سياقي، فسيكون بوسعها الاكتفاء بأن تكون علوم سياقات اجتماعية، وبذلك تكون تصرفاتنا قابلة للتفسير بمجرد تحديد السياق. بداية إن خبرات اجتماعية متشابهة قد تتبلور على شكل قدرات أو كفاءات تسمح بالقيام بأشياء معينة، وهذه القدرات أو الكفاءات يستجلبها الفاعلون تطبيقيا حين تتطلب المواقف ذلك فمثلا قدرات الحساب أو الطهي أو الرقص، هي كلها معارف تطبيقية مكتسبة (في مخزون كفاءات الأفراد) تنتظر المواقف التي تتطلبها تطبيقيا، وإذا ما تدرب المرء بانتظام على إحداها، فإن هذه القدرات تبقى سليمة وقد تتحسن، أو قد تصبح أكثر تركيبا، لكن قلة كثافة الممارسة لها أيضا يجعلها أقل رسوخا وحيوية.

على أن كل ما نخزنه لا يأخذ دوما شكل قدرات أو كفاءات، وعندما تكون هذه الخبرات قد صاغت لدى الفاعل عادات خاصة في مجال السلوك أو الفعل أو رد الفعل فإن هذه العادات تصبح استعدادات، أي أن الفاعل يصبح بحكم خبرته الماضية مستعدا لأن يرى (الرأي) أو يشعر (الاتجاه) أو يتصرف بشكل معين بدل آخر بناء على الميل أو الاتجاه إلى الاعتقاد أو التفكير أو التطرق أو الحكم على الأشياء.

3-3 الفاعل الجمع - المتعدد (التشكيك في تفرد الذات)

(Le Mer, 2022) إن نظريات الفاعل مقسمة إلى قطبين رئيسيين: تفرد الفاعل وتشرذمه الداخلي. تم التعبير عن تفرد الفاعل بشكل خاص من قبل بيير بورديو في نظريته عن الهابيتوس التي تسمح "ببناء وفهم أبعاد الممارسة بطريقة موحدة والتي غالبًا ما يتم دراستها بترتيب مشتت". تؤدي هذه النظرية بحسب ب. لاهير إلى الإصرار بشكل حصري على الجانب "المنهجي" و "الموحد" للهابيتوس.

بالنسبة لـ لاهير فإن مسألة تفرد أو تعددية الفاعل هي سؤال تاريخي (تجريبي) ونظري. من هذه الملاحظة ينبع الطموح المركزي للكتاب: تطوير الظروف الكامنة وراء هذه الوحدة أو التعددية للفاعل.

يعتبر لاهير (مناقضاً لنظرية بورديو عن الهابيتوس) أنه لكي يتعامل المرء مع "فاعل يحمل نظاماً من التصرفات أو مخططات متجانسة ومتماسكة، فإن الأمر يتطلب شروطاً اجتماعية محددة تماماً. لا يتم الوفاء بها دائماً، بل إنها مستوفاة أيضاً فقط بشكل استثنائي". ولتبرير ذلك تم الرجوع لـ دوركهايم لأنه يستخدم مفهوم الهابيتوس بمعنى علاقة متماسكة ودائمة للغاية مع العالم في موقفين محددين للغاية، يتميزان بتجانس كبير وتماسك واستقرار. في الواقع قام بتعبئة فكرة الهابيتوس هذه في ملاحظة "المجتمعات التقليدية" (التي تتميز بعدد محدود من الفاعلين في جميع مجالات الوجود) وتحليل "نظام المدرسة الداخلية".

ودائماً ما يدعم فكرة تعددية الفاعل، وجود صراع داخل الفرد لتحقيق تجانس ممارساته وأذواقه. سيتم تطوير هذه النقطة بشكل خاص في عمل لاحق لـ لاهير، مكرس للشرعية الثقافية، حيث يوضح أن الصراع بين الممارسات الثقافية المشروعة وغير المشروعة لا يحدث فقط بين المهيمن والمسيطر عليه، ولكن في الواقع حتى داخل فرادى.

3-4 أهمية السياقات والعادات الاجتماعية

(Le Mer, 2022) غالباً ما تتم دراسة عدم تجانس خبرات التنشئة الاجتماعية فيما يتعلق بالفصل العادي بين فترة التنشئة الاجتماعية "الأولية" وتلك التي تليها (فترة التنشئة الاجتماعية "الثانوية"). غالباً ما يؤدي هذا التمييز إلى تمثيل الرحلة الفردية كمر من المتجانس (الكون الفرعي للعائلة الذي يشكل الهياكل العقلية الأساسية) إلى غير المتجانسة.

ومع ذلك بحسب لاهير هناك حقائق تجريبية مختلفة تتعارض مع هذا النوع من التمثيل التخطيطي. بادئ ذي بدء فإن تجانس عالم العائلة مفترض مسبقاً ولا يتم إثباته أبداً، ومن ثم فإن تجربة تعددية العوالم والسياقات لها كل فرصة في مجتمعاتنا شديدة التمايز لتكون مبكرة النضج. سيكون الفاعل بعد ذلك جمعاً لأنه نتاج - غالباً ما يكون مبكراً - تجربة التنشئة الاجتماعية في سياقات اجتماعية متعددة وغير متجانسة.

3-5 مصادر الفعل

(Le Mer, 2022) بعد حشد نظريات الفاعل يميز أدريان لو مير في عمله الموسوم: الرجل الجمع لـ بيرنار لاهير بين تقاليد: من ناحية النماذج التي تمنح وزناً محدداً لماضي الفاعل (أي الأطروحات النفسية والتحليلية النفسية ونظرية الهابيتوس...) ومن ناحية أخرى النماذج التي تصف وتحلل لحظات من إجراء دون القلق بشأن ماضي الفاعلين (مثل نظرية الاختيار العقلاني والفردية المنهجية والتفاعل الرمزي على سبيل المثال)، يعتبر مقيداً بالمنطق الوحيد للوضع الحالي.

التقليد الثاني (الذي وصفه لاهير كنماذج للفاعل كلياً في التفاعل أو في موقف اللحظة) لا يحمل قناعة كاتب هذه الأسطر أدريان لو مير. وهو يعتبر أن "علم الاجتماع للفاعل دون ماضٍ يظل رسمياً تماماً وفارغاً من وجهة نظر تحليل الفاعلين، لأنهم في الأساس يهتمون بشكل أقل بالفاعل ككل أكثر مما يهتمون به في حد ذاته". ومع ذلك وفقاً له فإن "الحاضر" له وزن أكبر في تفسير السلوكيات أو الممارسات، حيث أن الفاعلين أجمعوا في الواقع عندما يتم تكوينهم اجتماعياً في ظروف متجانسة ومتماسكة بشكل خاص، يمكن أن يكون رد فعلهم على

المواقف الجديدة متوقعًا للغاية. من ناحية أخرى كلما كان الفاعلون نتاجًا لأشكال غير متجانسة ومتناقضة للحياة الاجتماعية، كلما لعب منطق الوضع الحالي دورًا مركزيًا في إعادة تنشيط جزء من التجارب السابقة المدمجة. يعني حسب سياقات الموقف.

يرجع لاهير إلى الفيلسوف برجسون الذي يفترض في الواقع أن الوضع الحالي لديه القدرة على "إزاحة الماضي" وإحداث ذكريات أو عادات فقط من المحتمل أن "تؤطر نفسها" في "الموقف الحالي" هذا "الموقف الحالي" نفسه ("ضرورات الفعل الحالي") له أيضًا القوة السلبية لـ "تنشيط" ما من الماضي المدمج، لا يمكن أن يجد في مثل هذا السياق طريقة تفعيله، وبالتالي فإننا نعتمد اعتمادًا كبيرًا على السياقات الاجتماعية التي "تستمد" تجارب معينة منا وتترك الآخرين في حالة اليقظة.

3-6 منطق الفاعل

(Le Mer, 2022) بالنسبة إلى لاهير فإن الفعل (الممارسة، السلوك ...) هو نقطة التقاء الخبرات الفردية السابقة التي تم دمجها في شكل أنماط العمل والعادات وطرق (الرؤية والشعور والقول والقيام) والوضع الاجتماعي الحالي.

ذلك له القدرة على إيجاد تشابه بين الوضع الحالي والتجارب السابقة المدمجة في شكل ملخصات للتجربة، يمكن للفاعل تعبئة الكفاءات التي تسمح له أن يتصرف بطريقة ذات صلة إلى حد ما.

يقر لاهير أيضًا بدور "العادات" في إثارة الفعل. في الواقع تم رفض فكرة "العادة" في علم الاجتماع واختزلت إلى فكرة "رد الفعل الميكانيكي للمثيرات المحددة". يكمن سبب استبعاد هذا المفهوم من المفردات الاجتماعية في الرغبة في استقلال علم الاجتماع فيما يتعلق بعلم النفس. على العكس من ذلك يعتزم لاهير إعادة استخدام هذه الكلمة، وإعادة تأهيلها كمفهوم اجتماعي.

3-7 استعارة الطية:

(Le Mer, 2022) يلتزم لاهير بتغيير المقياس في التحليل الاجتماعي ويستخدم استعارة دولوز عن الطية لبحثنا على القيام بذلك. بالنسبة إلى لاهير إذا كان الفاعل الفردي هو أحد أكثر الكائنات تعقيدًا، فذلك بسبب وجود أبعاد أو منطق أو عمليات مختلفة بداخله.

علم الاجتماع وفقًا للمؤلف لو مير لا يمكن أن يبدأ تاريخيًا بتحليل هذه التركيبات المعقدة للتجارب الاجتماعية غير المتجانسة التي تشكل جهات فاعلة فردية. لتأسيس الانضباط الاجتماعي، كان من الضروري أولاً الاهتمام بأشياء يسهل تحديدها: الأكوان الاجتماعية أو المجالات أو المجموعات الاجتماعية أو المؤسسات أو حتى المواقف الدقيقة.

لا يمكن تحليل الثنيات الفردية للمجتمع إلا في خطوة ثانية، لكنه مع ذلك ضروري لقد مر الفاعلون في الماضي وهم يمرون باستمرار في سياقات اجتماعية متعددة (الكون، المؤسسات، المجموعات، المواقف ...)؛ هم

ثمار (وناقلات) جميع التجارب (ليست دائماً متوافقة، وليست تراكمية دائماً، وأحياناً متناقضة للغاية) التي مروا بها في سياقات متعددة.

ومن ثم فإن استعارة طي أو ثني الاجتماعية مفيدة بشكل مضاعف وفقاً لما قاله لاهير. بادئ ذي بدء تحدد الطية نمطاً معيناً لوجود العالم الاجتماعي: الاجتماعي (ومنطقه التعددي) في شكله المدمج الفردي. "الفاعل الفردي هو نتاج عمليات طي (أو استيعاب) متعددة، وبالتالي يتميز بتعدد وتعقيد العمليات الاجتماعية والأبعاد الاجتماعية والمنطق الاجتماعي، وما إلى ذلك التي استوعبها. "يكمن الاهتمام الثاني لاستعارة الطية في حقيقة أن الداخل أو الداخل (الذهني، المعرفي) هو فقط خارج أو خارج مطوي. ثم لا يوجد مخرج ممكن من النسيج الاجتماعي. الداخل ليس سوى الخارج المجعد أو المطوي، وبالتالي ليس له أسبقية أو خصوصية غير قابلة للاختزال. وبالتالي لفهم الداخل يجب على المرء إجراء أفضل دراسة ظرفية ومنهجية للشكل الخارجي.

4- الخلاصة:

من المؤكد أن هذا العمل سيفاجئ عالم الاجتماع المستتير، لأنه يسعى إلى مخاطبة جمهور أوسع من الجمهور المقيد المعتاد للإنتاج الاجتماعي، وربما يكون هذا أيضاً ما يجعله محدداً أو لنقل غامضاً. في الواقع سواء في شكله (مقسم إلى أفعال ومشاهد، دون أي عرض حقيقي للمنهجية المتبعة)، وفي محتواه (سلسلة من عناصر التحليل - العادات، والذاكرة، واللغة، والمدرسة، والخبرات الأدبية)، يشير هذا العمل مع الإنتاج الاجتماعي الأكاديمي الذي يهدف إلى مناقشة النظريات المشهورة مثل تلك الخاصة ببورديو. لكن هذا الكتاب له إيجابيات وسلبيات.

في الواقع، قد يؤدي غياب الانكشاف المنهجي والتجريبي إلى جعل طالب علم الاجتماع يشعر ببعض الحرمان من الرغبة في تطبيق أدوات التحليل على المسارات الفردية.

على سبيل المثال، إذا كان الإنسان بصيغة الجمع كما يؤكد لاهير، فكيف يمكننا الوصول إليه تجريبياً كباحث في العلوم الاجتماعية؟ هل يجب أن نفضل الاستطلاعات الطولية على المدى الطويل، هل يجب أن نجعل أماكن المقابلات تعددية؟ هل هناك فضاءات اجتماعية يخاطر فيها الفرد بأن يصبح أكثر توحيداً (الجيش، عمل خط التجميع، رياضي رفيع المستوى، إلخ) أو على العكس من ذلك، أكثر تشتتاً (أسرة مختلطة، إعادة تدريب احترافي، منشق، إلخ)؟

بعبارة أخرى هل تُعرّف التعددية وجودياً الفرد في جميع الأوقات وفي جميع الأماكن عندما نختار المقياس الصحيح للتحليل، أم أنها نتيجة تطور؟ تاريخ حديث، يجب توضيح معالمه؟ لإعادة صياغتها مرة أخرى، إذا كان لاهير قد درس المجتمعات القبايلية التي درسها بورديو، لكان قد رأى العادة والنطاق والتماسك، أم ترتيبات وسياقات وطنية؟

وعليه يتحدد الاشكال الذي قد يصادفنا في تطبيق والاستجد بنظرية لاهير في الأدوات المنهجية أولاً، ثم كيف قام لاهير بتجريب وتطبيق أطروحاته على الفاعلين، هل المنهج الأنثولوجي عن طريق الملاحظة أو

التحليل النفسي او دراسة الحالة وفق مدخل علم النفس أو بالرجوع لأساليب اجتماعية عن طريق سير الحياة والمقابلات....

ثم إن التساؤل المطروح ألا يجد الفرد صراعا داخليا حين وضعه في سياق ما في الظروف الزمكانية من أجل قيامه بالفعل، يؤدي به إلى عدم التوازن .

أخيرا ترى سوسيولوجيا لاهير الانسان بأنه متعدد القراءات والتأويلات، يساهم في التأثير على البنية من خلال أفعاله ويتأثر بدوره بفعل الظروف والشروط الاجتماعية، وهو حامل مجموعة من الاستعدادات الثابتة والمتغيرة، و هو الإنسان الذي يعيش في إطار المجتمعات الحديثة التي تقوم على التمايز الاجتماعي، هو فاعل اجتماعي حبل بالتجارب المتناقضة، أي أنه إنسان جامع في أفعاله وممارساته تبعا للظروف والظروف الاجتماعية التي يخضع لها، وهو ما يجعله قابل للقراءة المتعددة ضمن التحليل السوسيولوجي الفردي الذي يهدف أساسا إلى تحديد عناصر الفعل ضمن وضعية معينة لدى الفاعل على الرغم من صعوبة الأمر، لأن سلوكية الفاعل في المجتمعات الحديثة ليست دائما متوقعة، لكي نستطيع أن نراقبها ونحللها، بخلاف المجتمعات التقليدية التي تقوم على التنظيم القبلي كما رآها بورديو حيث يتميز أفرادها بعدم الاستقلالية وسيطرة الجماعة على الفرد وقدرتها على احتوائه وإخضاعه من خلال العادات والتقاليد والأعراف والرموز الدينية.

- الإحالات والمراجع:

الإدرسي، محمد. (20 سبتمبر 2019). نظرية الممارسة لدى قطب السوسيولوجية النقدية الفرنسية. مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

فرح، عبد الإله. (14 مايو 2018). برنار لاهير وسوسيولوجيا الإنسان المتعدد. مؤمنون بلا حدود للدراسات والنشر.

فرح، عبد الإله. (6 أبريل 2021). التناغم الإيديولوجي في السوسيولوجيا النقدية. مركز نقد وتنوير للدراسات الإنسانية.

الفيصل، محمد برادة. (1 مارس 2018). تصدّع في مجال السوسيولوجيا بفرنسا يثير زوبعة ثقافية.

لايير، بيرنار. (2015). عالم متعدد الأبعاد: تأملات في وحدة العلوم الاجتماعية. ط01. ت: بشير السباعي. بيروت: المنظمة القومية للترجمة.

L'homme pluriel. La sociologie à l'épreuve de l'individu BERNARD LAHIRE, Mensuel N° 91 – Février 1999.

Le Mer, H. (2022). *L'homme pluriel de Bernard Lahire*. L'Ecole nationale de la statistique et d'administration économique.

COSTEY, P et PERDONCIN, A. (2007). *Entretien avec Bernard Lahire*. Tracés : Revue de Sciences humaines.

www.ens-lyon.fr/recherche/panorama-de-la-recherche/prix-et-distinctions/bernard-lahire-sociologue-centre-max-weber